[٥]

التنبيه على خبر باطل في «أخبار مكة» للأزرقي

الحَمْدُ للهِ ربِّ العالمِينَ، وَصلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ علىٰ نَبِيِّنا مُحمدٍ وَعلىٰ آلِهِ وَأصْحابِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.

وَبَعْدُ: فَقَد ذَكَرَ الأَزْرَقِيُّ(١) فِي «أَخبَارِ مَكةَ»(٢)، فِي باب: مَا جَاءَ فِي ذِكْرِ بِناءِ قُرَيْشٍ الكَعْبَةَ فِي الجَاهِلِيةِ: أنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمَرَ بمحْوِ الصُّوَرِ الَّتي فِي الكعبةِ سِوىٰ صُورَةِ مَرْيَمَ وَعِيسَىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

وَرَوَىٰ الأَزْرَقِيُّ ذَلِكَ بِأَربَعةِ أَسَانيدَ كُلُّهَا ضَعيفَةٌ، فَلَا يُغْتَرُّ بِها، وَلا يُعتَمدُ علىٰ شَيْءٍ مِنْهَا.

الإِسْنَادُ الأولُ: قَالَ: حَدَّثَني جَدِّي(٣)، قَالَ: حَدثَنا مُسلِمُ بْنُ خَالدٍ الزَّنْجيُّ(٤)، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ(٥)، عَن أَبِيهِ(٦) قَالَ: «**جَلَسَ رِجَالٌ مِن قُرَيشٍ فِي الْمَسْجِدِ**

---

(١) محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق، أبو الوليد الأزرقي: مؤرخ، يماني الأصل، من أهل مكة. ترجمته في: «طبقات الشافعيين» (ص١١٥)، و«الأعلام» للزركلي (٦/ ٢٢٢).

(٢) «أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار» (١/ ١٥٧).

(٣) أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق بن عمرو بن الحارث بن أبي شمر الغساني، أبو محمد الأزرقي. ترجمته في «التاريخ الكبير» للبخاري (٢/ ٣)، و«تهذيب الكمال» (١/ ٤٨٠).

(٤) الإمام، فقيه مكة، أبو خالد مسلم بن خالد المخزومي، الزنجي. ترجمته في «التاريخ الكبير» للبخاري (٧/ ٢٦٠)، و«سير أعلام النبلاء» (٨/ ١٧٦).

(٥) عبد الله بن أبي نجيح الإمام، الثقة، المفسر، أبو يسار الثقفي، المكي. ترجمته في: «تهذيب الكمال» (١٦/ ٢١٥)، و«سير أعلام النبلاء» (٦/ ١٢٥).

(٦) يسار، أبو نجيح الثقفي، المكي، والد عبد الله بن أبي نجيح، مولىٰ الأخنس بن شريق الثقفي. «التاريخ الكبير» للبخاري (٨/ ٤٢٠)، و«تهذيب الكمال» (٣٢/ ٢٩٨).

الحَرَامِ...»، فَذَكَرَ خَبَرًا طَوِيلًا فِي بِنَاءِ الكَعبَةِ، وَقَالَ فِي آخِرِه: «وَجَعَلُوا فِي دَعَائِمِهَا صُورَ الأَنبِيَاءِ، وَصُورَ الشَّجَرِ، وَصُورَ المَلَائِكَةِ، فَكَانَ فِيهَا صُورَةُ إِبرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحمَنِ شَيخٍ يَستَقسِمُ بِالأَزلَامِ، وَصُورَةٌ لِعِيسَىٰ ابنِ مَريَمَ وَأُمِّهِ، وَصُورُ المَلَائِكَةِ - عَلَيهِمُ السَّلَامُ أَجمَعِينَ.

فَلَمَّا كَانَ يَومُ فَتحِ مَكَةَ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ البَيتَ، فَأَرسَلَ الفَضلَ بنَ العَبَاسِ بنِ عَبدِ المُطَّلِبِ، فَجَاءَ بِزَمزَمَ ثُم أَمَرَ بِثَوبٍ فَبُلَّ بِالماءِ، وَأَمرَ بطَمْسِ تِلكَ الصُّورِ فَطُمِسَت، قال: ووَضَعَ كَفَّيهِ عَلَىٰ صُورَةِ عِيسَىٰ ابنِ مريمَ وَأُمِّهِ عَلَيهِمَا السَّلَامُ وقال: «أُمحُوا جميعَ الصوَرِ إِلا مَا كَان تَحتَ يَدِي»، فَرفَع يَدَيهِ عَن عِيسَىٰ ابنِ مَريمَ وأُمِّهِ»(١).

الإِسنادُ الثَّاني: قَالَ: وَحدثنِي جَدي، قَالَ: حَدثَنا دَاودُ بنُ عَبدِ الرحمَنِ(٢)، قَالَ: أَخبَرَنِي بَعضُ الحَجَبَةِ عَن مُسَافِعِ بنِ شَيبَةَ بنِ عُثمَانَ(٣): أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا شَيبةُ، أُمحُ كلَّ صورةٍ فِيهِ، إِلا مَا تَحتَ يَدي»، قَالَ: فَرفَعَ يَدَه عَن عِيسَىٰ ابنِ مريمَ وأُمِّهِ(٤).

---

(١) أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ١٥٩-١٦٥).

(٢) داود بن عبد الرحمن بن العطار، أبو سليمان المكي. ترجمته في: «تهذيب الكمال» (٨/ ٤١٣)، و«ميزان الاعتدال» (٢/ ١١).

(٣) مسافع بن عبد الله الأكبر بن شيبة بن عثمان بن أبي طلحة القرشي، العبدري، الحجبي. ترجمته في : «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٧/ ٣٨١)، و«تهذيب الكمال» (٢٧/ ٤٢٢).

(٤) أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ١٦٨).

الإسنادُ الثَّالِثُ: قَالَ: حَدثَني جَدي، عَن سَعيدِ بنِ سَالِمٍ[(١)]، قَالَ: حَدثنَا يَزِيدُ بنُ عِياضٍ بنِ جُعدُبة[(٢)]، عنِ ابنِ شِهَابٍ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الكعبةَ يومَ الفتحِ وفيها صورُ الملائكةِ وَغَيرِها، فَرأىٰ صورةَ إبراهيمَ، فقالَ: «**قَاتَلَهُم اللهُ؛ جَعلُوه شَيخًا يَستَقسِمُ الأَزلامَ**»، ثُم رَأىٰ صُورَةَ مَريمَ فَوَضَعَ يَدَه عَليهَا وَقَالَ: «**أُمحُوا مَا فِيها من الصُّورِ، إلَّا صُورةَ مريمَ**»[(٣)].

الإسنَادُ الرَّابِعُ: قَالَ: أَخبَرَني محمَّد بنُ يَحيَىٰ[(٤)]، عَن الثِّقةِ عِندَهُ، عَن ابنِ إسحَاقَ[(٥)]، عَن حَكيمِ بنِ عَبَّادِ بنِ حُنَيفٍ[(٦)] وَغيرِهِ مِن أَهلِ العلِمِ: أَنَّ قَريشًا كَانَت قَد جَعَلَتْ فِي الكَعبَةِ صُورًا فِيهَا عِيسَىٰ ابنُ مَريمَ ومريمُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. قَالَ ابنُ شِهَابٍ: قَالَت أَسمَاءُ بِنتُ شَقرَان[(٧)] -امرَأَةٌ مِن غَسَّان حَجَّت فِي حَاجِّ العَرَبِ- فَلَما رَأَتْ

---

(١) سعيد بن سالم القداح، أبو عثمان المكي، خراساني الأصل، ويقال: كوفي. سكن مكة. ترجمته في: «تهذيب الكمال» (١٠/ ٤٥٤)، و«الكاشف» (١/ ٤٣٦).

(٢) يزيد بن عياض بن جعدبة الليثي، أبو الحكم المدني، انتقل إلىٰ البصرة، ومات بها. ترجمته في: «تهذيب الكمال» (٣٢/ ٢٢١)، «تاريخ الإسلام» (٤/ ٢٥٤).

(٣) أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ١٦٨).

(٤) محمد بن يحيىٰ بن أبي عُمر العَدني، نزيل مكة، ويقال: إن أبا عُمر كنية يحيىٰ، صدوق، صنف «المُسنَد»، وكان لازم ابن عُيينة، لكن قال أبو حاتم: كانت فيه غفلة، من العاشرة، مات سنة ثلاث وأربعين ومائتين. «التقريب» (١/ ٥١٣) (ت٦٣٩١).

(٥) ابن إسحاق محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار الأخباري. ترجمته في: «تهذيب الكمال» (٢٤/ ٤٠٥)، و«سير أعلام النبلاء» (٧/ ٣٣).

(٦) حكيم بن عباد بن حنيف الأنصاري. ترجمته في: «التاريخ الكبير» للبخاري (٣/ ١٧).

(٧) لم أقف علىٰ ترجمة لها.

صورةَ مَريَمَ في الكَعبَةِ قَالَت: «**بِأَبِي وَأُمي، إِنَّكِ لَعَرَبية**»، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَمحُوا تِلكَ الصُّورَ إِلا مَا كَانَ مِن صورَةِ عِيسَىٰ وَمَريَم(١).

وَهَذه الأَخبَارُ مَردُودَةٌ مِن وجوهٍ:

الوَجهُ الأَولُ: ضَعفُ أَسَانِيدِهَا:

أَمَّا الخَبرُ الأَولُ: فَإِنَّهُ مُنْقَطِعٌ؛ لأَنَّ أَبَا نَجِيحٍ لَم يُدرِكْ زَمنَ الجَاهِلِيةِ وَلا زَمنَ النَّبي ﷺ، وَإِنَّمَا أَدرَكَ آخرَ زَمَانِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم، وَالمُنقَطعُ لَا يَثبُتُ بِه شَيءٌ.

وَأَيضًا: فَفِي إِسنَادِه مُسلِمُ بنُ خَالِدٍ الزَّنْجِي، وَقَد وَثَّقه ابنُ مَعِين، وَضَعَّفَه أَبو دَاودَ، وَقَالَ أَبو حَاتِم: «إِمَامٌ فِي الفِقه، تَعرفُ وَتُنكرُ، لَيسَ بِذاكَ القوي، يُكتبُ حَدِيثُه وَلَا يُحتَجُّ بِهِ»، وقَالَ النَّسَائيُّ: «لَيسَ بِالقَوِي»، وهَذا مِمَّا يَزيدُ الخبرَ وَهْنًا عَلىٰ وَهْنِه(٢).

وَأَمَّا الخَبرُ الثَّانِي: فَإِنَّه أَضعفُ مِمَّا قَبلَه؛ لِأَمرَينِ:

أَحَدُهُما: أَنَّهُ مُرسَلٌ، وَالمُرسَلُ لَيس بِحُجَّةٍ.

وَالثَّاني: أَنَّ فِي إِسنَادِهِ رَجُلًا لَم يُسمَّ، وَمِثْلُ هَذَا لَا يَثبُتُ بِهِ شَيءٌ، وَقَد ذَكَرَهُ البُخَارِي فِي «التَّارِيخِ الكبيرِ» بِدُونِ ذِكرِ الزِّيَادَةِ البَاطِلَةِ، فَقَالَ في تَرجَمَةِ مُسَافِعِ بنِ عبدِ

---

(١) أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ١٦٩)، وإسناده ضعيف، لإبهام شيخ محمد بن يحيىٰ، وعنعنة ابن إسحاق وهو مدلس.

(٢) انظر: «تهذيب الكمال» (٢٧/ ٥١١ - ٥١٣).

اللهِ عن شيبةَ بنِ عثمانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا شَيبَةُ، اُمْحُ كُلَّ صُورَةٍ في البَيتِ**»(١).

وَأَمَّا الخَبَرُ الثَّالِثُ: فَإِنَّهُ أَضعَفُ مِمَّا قَبْلَهُ؛ لأَمْرَينِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ مُرسَلٌ.

وَالثَّانِي: أَنَّ فِي إِسنَادِهِ يَزِيدَ بنَ عِياضِ بنِ جُعْدُبة -بضَم الجِيم والدَّال، بينهما مُهملةٌ ساكنةٌ- قَالَ الذَّهَبِيُّ فِي «المِيزَان»: قَالَ البُخاريُّ وغيرُه: «مُنكَرُ الحَديثِ»، وَقَالَ يَحيَىٰ: «لَيس بِثِقَةٍ»، وَقَالَ عَليٌّ: «ضَعيفٌ»، ورمَاهُ مَالِكٌ بِالكَذِبِ، وَقَالَ النَّسَائِي وَغَيرُهُ: «مَترُوكٌ»، وَقَالَ الدَّارَقُطْنِي: «ضَعِيفٌ»، وَرَوَىٰ عَبَّاسٌ عَن يَحيَىٰ: «لَيس بِثِقَةٍ، ضعيفٌ»، وروَىٰ يَزِيدُ بنُ الهَيثَمِ عَن ابنِ مَعِينٍ: «كَانَ يَكذبُ»، وَرَوَىٰ أَحمَدُ بنُ أَبِي مَريَم عَن ابنِ معينٍ: «لَيسَ بِشيءٍ، لَا يُكتَبُ حَديثُه»(٢).

وَأَمَّا الخَبرُ الرَّابعُ: فإِنَّهُ ضَعِيفٌ جدًّا؛ لِأَمرَين:

أَحدُهُمَا: أَنَّهُ مُنْقطعٌ.

والثَّانِي: أَنَّ فِيهِ رَجُلًا لَمْ يُسمَّ، وَمِثْلُ هَذَا لا يَثبُتُ بِهِ شَيءٌ.

الوَجهُ الثَّانِي: أَنَّه ثَبَتَ عَن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه أَمَر عُمرَ بنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ يمحُوَ الصورَ الَّتِي فِي الكَعبَةِ، وَأَنهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخلَهَا وَمَا فِيهَا شَيءٌ

---

(١) «التاريخ الكبير» للبخاري (٨/ ٧٠).

(٢) «ميزان الاعتدال» (٤/ ٤٣٧).

مِن الصُّوَرِ، قَالَ الإِمَامُ أَحمَدُ: حَدَّثَنَا رَوْحٌ -وَهو ابنُ عُبَادةَ القَبَسِي[(١)]- حَدثَنا ابنُ جُرَيج[(٢)]، أَخبَرَني أَبو الزُّبيرِ[(٣)]: أَنَّه سَمِعَ جَابرَ بنَ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يقولُ: إِنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ عمرَ بنَ الخَطابِ يَومَ الفَتحِ وهُو بِالبَطحَاءِ أَنْ يَأتي الكَعبَةَ فَيمحوَ كُلَّ صُورة فِيهَا، وَلم يَدخُلِ البَيتَ حَتىٰ مُحِيَتْ كُلُّ صورَةٍ فِيه»؛ إِسَنادُه صَحيحٌ عَلىٰ شَرطِ الشَّيخَينِ[(٤)].

وَقَالَ الإِمَامُ أَحمَدُ أَيضًا: حَدثَنا عبدُ اللهِ بنُ الحَارِثِ -وَهو ابنُ عَبدِ المَلكِ المَخزومِي[(٥)]- عَن ابنِ جُرَيْج، أَخبَرنِي أَبو اليَزيد[(٦)]: أَنهُ سَمِعَ جَابِرَ بنَ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَزعُم أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَىٰ عَن الصورِ التي فِي البَيتِ، وَنَهَىٰ الرَّجلَ الذِّي يَصنَعُ ذلِك»، وَأَنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ عمَرَ بنَ الخَطابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ زَمَنَ

---

(١) روح بن عبادة بن العلاء القيسي البصري، ابن حسان بن عمرو الحافظ، الصدوق، الإمام، أبو محمد القيسي، البصري؛ من قيس بن ثعلبة. ترجمته في: «تهذيب الكمال» (٩/ ٢٣٨)، و«سير أعلام النبلاء» (٩/ ٤٠٢).

(٢) ابن جريج الأموي عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، الإمام، شيخ الحرم، أبو خالد، وأبو الوليد القرشي، الأموي، المكي، صاحب التصانيف. ترجمته في: «تهذيب الكمال» (١٨/ ٣٣٨)، و«سير أعلام النبلاء» (٦/ ٣٢٥).

(٣) محمد بن مسلم بن تدرس القرشي الأسدي، أبو الزبير المكي، مولىٰ حكيم بن حزام. ترجمته في: «تهذيب الكمال» (٢٦/ ٤٠٢)، و«سير أعلام النبلاء» (٥/ ٣٨٠).

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٣٨٣) (١٥١٤٩)، وصححه الألباني في «التعليقات الحسان» (٥٨٢٧).

(٥) عبد الله بن الحارث بن عبد الملك القرشي المخزومي، أبو محمد المكي. ترجمته في: «التاريخ الكبير» للبخاري (٥/ ٦٧)، و«تهذيب الكمال» (١٤/ ٣٩٤).

(٦) الذي في «مسند أحمد»: أبو الزبير وهو الصواب، وقد مرت ترجمته.

الفَتحِ وهوَ بِالبَطحَاءِ أَنْ يَأتِيَ الكَعبَةَ فَيمحوَ كُلَّ صورَةٍ فِيهَا، وَلَم يَدخُلِ البَيتَ حَتىٰ مُحِيَتْ كلُّ صورَة فِيهِ»؛ إِسنادُه صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرطِ مُسْلِمٍ(١).

وَقَد رَواه الإِمَامُ أَحمَدُ أَيضًا بِإسنَادَينِ: أَحدهُمَا صَحِيحٌ، وَالآخَرُ حَسَنٌ، وَرَوَاه أَبو دَاودَ في «سُنَنِهِ»، وَالبَيهَقِيُّ مِن طَرِيقِهِ، وَإِسنَادُهُ حَسَنٌ(٢).

وَفِي هَذَا الحَدِيثِ رَدٌّ لِمَا جَاءَ في الأَخبَارِ الأَربعَةِ؛ لأَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمرَ بمَحوِ الصورِ الَّتِي فِي الكَعبَةِ، وَلَم يَستَثنِ شَيئًا مِنهَا، وَفِي هَذَا أَبلَغُ رَدٍّ عَلَىٰ مَن زَعَمَ أَنهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَ كَفَّيهِ عَلَىٰ صورَةِ مَريمَ وَعِيسَىٰ، وَأمرَ بِإبقَائِها، وَمَحوِ مَا سِوَاها.

وَأَيضًا، فَإِن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمرَ عُمرَ بنَ الخَطَابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَهوَ بِالبَطحَاءِ أَنْ يَأتِيَ الكَعبَةَ فَيمحوَ كلَّ صورَةٍ فِيهَا، وَفِي هَذَا رَدٌّ علىٰ مَا جَاءَ فِي خَبَرِ أَبِي نَجِيحٍ أَنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرسَلَ الفَضلَ بنَ العَبَّاسِ فَجَاءَ بِمَاءِ زَمزَم.

الوَجهُ الثَّالِثُ: مَا ذَكَره الزَّرقَانِي عَلَىٰ «المَوَاهِبِ» أَنَّه وَقَعَ عِندَ الوَاقِدِي فِي حَدِيثِ جَابِرٍ: وَكَانَ عَمَرُ قَد تَركَ صورَةَ إبرَاهِيمَ، فَلما دَخلَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَآهَا، فَقَالَ: «**يَا عمَرُ، أَلَم آمُرْكَ أَنْ لا تَدعَ فِيهَا صورَةً، قَاتَلَهم اللهُ؛ جَعَلوه شَيخًا يَستَقسِمُ بِالأَزلَامِ**»، ثُمَّ رَأَىٰ صورَة مَريَمَ فَقَالَ: «**اُمحُوا مَا فِيهَا مِنَ الصورِ، قَاتَلَ اللهُ قَومًا يُصَوِّرُونَ مَا لا يَخلُقُونَ**»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٣٥) (١٤٦٣٦).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٨٤، ٣٣٦) (١٥١٥٦، ١٤٦٥٤)، وأبو داود (٤١٥٦)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٧/ ٤٣٧)، وصححه الألباني.

(٣) «شرح المواهب اللدنية» للزرقاني (٣/ ٤٦٦)، وانظر: «المغازي» للواقدي (٢/ ٨٣٤).

وَهَذَا ظَاهِرٌ فِي شِدَّةِ إِنكَارِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للصُّورِ الَّتِي رَآهَا فِي الكَعبَةِ، وَمنها صورةُ مريمَ، وَيَدلُّ عَلَىٰ تَشدِيدِه فِي الإِنكَارِ ثَلاثةُ أمورٍ:

أَحَدُهَا: إِنكَارُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ عُمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حِينَ تَرَكَ بعضَ الصورِ فَلَم يَمحُهَا.

وَالثَّانِي: أَمرُه بِمَحوِ الصورِ بِدونِ اسْتِثْنَاءٍ.

والثَّالثُ: دُعَاؤه عَلَىٰ المُصوِّرِينَ.

وَفِي مَعنَىٰ قَولِه: «قَاتَلَهم اللهُ» أَقوَالٌ:

أَحدهَا: لعَنَهم اللهُ؛ قَالَه ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا(١)، وَاختَارَه البُخَارِي(٢).

الثَّانِي: قَتَلَهم اللهُ؛ قَالَه ابنُ جُرَيج(٣).

الثَّالثُ: أَنهُ لَيسَ علَىٰ تَحقِيقِ المُقَاتَلة، وَلكنَّه بمَعنَىٰ التَّعجُّبِ؛ حَكَاه البَغَوِيُّ فِي «تَفسِيرِه»(٤)، قَالَ الرَّاغِبُ الأَصفَهَاني: «**وَالصَّحيحُ أَنَّ ذَلكَ هُو المُفَاعَلَةُ، وَالمَعنَىٰ صَارَ بِحَيثُ يَتصدَّىٰ لِمحَارَبةِ اللهِ، فَإِنَّ مَن قَاتَلَ اللهُ فَمَقتولٌ، وَمَن غَالَبَه فَهو مَغلُوبٌ**»؛ انتهىٰ(٥).

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٠٧).

(٢) كما في «صحيحه» (٣/ ٨٢).

(٣) حكاه البعوي في «تفسيره» (٤/ ٣٨).

(٤) في «تفسيره» (٤/ ٣٨).

(٥) «المفردات في غريب القرآن» (ص٦٥٦).

الوَجه الرَّابعُ: أَنَّ تَصوِيرَ الصُّوَرِ واتِّخَاذَهَا مِن أعظمِ المُنكرَاتِ، وتَغيِيرُ المُنكَرِ واجبٌ بحسبِ القدرةِ؛ كَمَا قِال النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن رَأىٰ مِنْكُمْ مُنكرًا فَليُغَيِّرْه بيَدِهِ، فَإِن لَم يَستَطِعْ فَبِلِسَانِه، فَإِن لَم يَستطعْ فَبِقَلبِه؛ وَذَلكَ أَضعفُ الإِيمَانِ**»؛ رَواه الإمَامُ أَحمَد، وَأبو داود الطَّيالسِي، وَمسلِمٌ، وَأَهلُ السنَنِ، مِن حَديثِ أَبي سَعيد الخدْري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وَقَالَ التِّرمِذي: «هَذا حدِيثٌ حَسنٌ صحيحٌ»(١)، وفِي رِواية النَّسَائي: «**مَن رَأىٰ مُنكَرًا فَغيَّرَهُ بيَدِه فَقَد بَرِئ، وَمَن لَم يَستَطعْ أَنْ يُغيِّرَه بيَده فَغَيَّرَه بِلِسَانِه فقَد بَرِئ، وَمَن لَم يستطِعْ أَنْ يُغيره بِلسَانِه فغَيره بِقَلبِه فقَد بَرِئ؛ وَذَلِكَ أَضعفُ الإِيمَانِ**»(٢).

وَقَد كَانَ النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ النَّاسِ غِيرَةً عَلَىٰ انتهَاكِ المُحرمَاتِ، وأَشدَّهُم فِي إِنكَارِ المُنكَراتِ وَتغييرِها، ومن المُحالِ أنْ يَرَىٰ المُنكَرَ وهو قادرٌ علَىٰ تَغييرِه فَلا يُغيرُه، فَضلًا عَن أنْ يأمُرَ بِإِبقَائِه، وَمَن ظَن أنَّ النَّبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ ببقَاءِ شَيءٍ مِن الصورِ الَّتِي فِي الكَعبَةِ ونَهَىٰ أَنْ يُمحَىٰ، فَقَد ظَن بِه ظَنَّ السَّوءِ.

الوَجهُ الخَامسُ: أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهىٰ عن التصوِيرِ؛ كَمَا فِي «المُسند» و«جامعِ الترمِذي»، عَن جَابِر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «**نَهىٰ رَسولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عَن الصورِ فِي البَيتِ، وَنَهىٰ الرجلَ أنْ يَصنعَ ذَلكَ**»؛ قَالَ الترمِذي: «حَديثٌ حسنٌ صحيحٌ»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٠) (١١٠٨٨)، وأبو داود الطيالسي (٣/ ٦٤٩)، ومسلم (٤٩)، وأبو داود (١١٤٠)، والترمذي (٢١٧٢)، والنسائي (٥٠٠٨)، وابن ماجه (١٢٧٥).

(٢) عند النسائي (٥٠٠٩).

(٣) سبق تخريجه.

وروى الإمَامُ أحمَد -أَيضًا- وَالبخَارِي فِي «تَارِيخِه» بِأَسانيدَ جيدَةٍ، عنَ مُعاوِيةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ نَهَىٰ عَن التَّصاوِيرِ**»(١).

وَمَا كَانَ النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لِينَهَىٰ عَن التصوِيرِ، ثم يُقِرَّ بعضَه ويَأمُرَ بإبقَائِه، هَذَا مِن أَبطَلِ البَاطِلِ.

الوجهُ السَّادِسُ: أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لمَّا دَخلَ علَىٰ عَائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا ورَأَىٰ القِرَامَ الذِّي فِيهِ التصَاوِيرُ، هَتكَه وتَلوَّنَ وَجهُهُ، قَالتْ عَائشةُ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا: **دَخلَ** عليَّ رَسولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وقَد سترتُ سَهوَةً لِي بِقرامٍ فِيهِ تمَاثِيلُ، فلمَّا رَآه هَتكَه وَتلَوَّنَ وَجهُهُ وَقَالَ: «**يَا عَائشةُ، أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا عِند اللهِ يومَ القِيامَةِ الذينَ يُضَاهُونَ بخَلقِ اللهِ**»؛ رَواه الإمامُ أحمدُ والبُخاريُّ وَمسلمٌ، والنَّسائيُّ وابنُ ماجه، وهَذَا لَفظُ مُسلِمٍ(٢)، وَفِي روايةِ النسائيِّ: «**بِقِرَامٍ فِيه تَصَاوِيرُ**»(٣)، وَفِي رِوَاية ابنِ ماجَه: «**بِسِترٍ فِيهِ تَصَاويرُ**»(٤)، وَفِي روايةٍ لِمسلِمٍ قَالتْ: «**دَخلَ النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عَليَّ وَقَد سَترتُ غِطَاءً فِيهِ تَصاوِيرُ، فَنحَّاه فَاتَّخَذتُ مِنْه وِسَادَتَينِ**»(٥).

وَإذا كَانَ النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قَد هتَكَ السِّترَ الذِّي فِي بيتِ عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا مِن

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٠١) (١٦٩٧٧)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ٢٣٤)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٤٧٢٥).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٣٦) (٢٤١٢٧)، والبخاري (٢٤٧٩)، ومسلم (٢١٠٧)، والنسائي (٧٦١)، وابن ماجه (٣٦٥٣).

(٣) عند النسائي (٥٣٥٦، ٥٣٥٧)، والقِرام: هو السِّتْر الرَّقيق.

(٤) عند ابن ماجه (٣٦٥٣).

(٥) عند مسلم (٢١٠٧).

أَجلِ التصَاويرَ، فكَيفَ يُظَنُّ بِهِ أَنَّه يُقِرُّ التصَاويرَ فِي بيتِ اللهِ تَعالىٰ وَيَأمرُ بِإبقَائِهَا؟!

الوجهُ السَّابعُ: أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لَعنَ المُصورِينَ وَأخبرَ أَنَّهم أَشدُّ النَّاسِ عَذَابًا يومَ القيامةِ؛ كَمَا في حَديثِ أَبِي جُحيفَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لَعنَ المُصورِينَ؛ رَوَاهَ الإمامُ أحمدُ وأَبو داودَ الطيَالِسِي(١).

وَعَن عَائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قالَ: «**أَشدُّ النَّاسِ عذابًا عند اللهِ يومَ القيامةِ الذي يُضَاهُونَ بِخَلقِ اللهِ**»؛ مُتفق عليه(٢).

وَعن ابنِ عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قالَ: سَمعتُ رسولَ اللهِ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقولُ: «**كُلُّ مُصَوِّرٍ في النَّارِ يُجْعلُ له بكلِّ صورةٍ صَوَّرَهَا نَفسٌ فَتُعذبُه فِي جَهنَّمَ**»؛ رواه مسلمٌ(٣).

وَالأَحادِيثُ فِي الوَعيدِ الشديدِ للمُصوِّرِينَ كَثيرةٌ جِدًّا، وَقد ذَكرتُها فِي «إِعلانِ النَّكيرِ عَلَىٰ المَفتُونِين بالتصْوِيرِ»، فَلتُراجَعْ هُناكَ.

وَإذا تأَمَّل طالبُ العِلمِ ما ثَبتَ عن النَّبيِّ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مِنْ لعْنِ المُصورِين، ومَا ثَبتَ عنهُ أَيضًا مِنَ الوَعيدِ الشديدِ لَهم، لَم يشُكَّ فِي كَذبِ ما جَاءَ في الأَخبَارِ الأَربعةِ التي ذَكرَها الأَزرَقيُّ في «تاريخِهِ» وتقَدَّمَ ذكرُها؛ فإِنَّ النَّبيَّ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لا يُخَالِفُ قولَه بفعلِه، ولا يُقرُّ المُنكرَ الذي هو مِن أَظلَمِ الظلمِ ومن كَبَائِرِ الإِثمِ.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٠٨) (١٨٧٧٨)، وأبو داود الطيالسي (٢/ ٣٧٥)، وهو عند البخاري (٢٠٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٥٤)، ومسلم (٢١٠٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢١١٠).

الوجهُ الثَّامنُ: أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبرَ في عدَّةِ أحاديث صحيحةٍ: أنَّ المَلائِكةَ لا تَدخلُ بيتًا فيه صُورةٌ، وَروىٰ الإمامُ أحمدُ والبُخاريُّ والنَّسائيُّ عن ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَال: دَخلَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البيتَ فوجدَ فيه صورةَ إِبراهيمَ وصورةَ مريمَ، فقالَ: صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أمَا لَهُم فقَد سَمِعُوا أنَّ المَلائكةَ لا تَدخلُ بيتًا فيهِ صورةٌ، هَذا إبراهيمُ مُصوَّرٌ، فما له يَستَقْسِمُ؟!**»(١).

وهَذا الحديثُ ظاهرٌ فِي إِنكَارِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لصُورةِ إبراهيمَ ومريمَ حين رَآهما في الكعبةِ، وَهذا يَردُّ قولَ مَن زعمَ أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وضَعَ كفَّيهِ علىٰ صورةِ مريمَ وعيسىٰ وأَمرَ بإبقَائِها ومَحوِ مَا سِواها، وإذَا كَانتْ المَلائِكَةُ لا تَدخلُ البيتَ الذي فيه صورةٌ، فَكيفَ يُظنُّ بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه يُقرُّ صورةَ مريمَ وعيسىٰ في بيتِ اللهِ الذي هو أَشرفُ البيوتِ وأَعظَمُها حُرمَة، ويأمرُ بإبقَائِها ومَحوِ ما سِوَاهَا؟! هذا مِنْ أَسوَإِ الظَّنِّ وَأَبطَلِ البَاطِلِ.

الوجهُ التَّاسعُ: ما روَاه أبُو داودَ الطَّيالِسي في «مسندِه» بإسنادٍ جَيدٍ عن أُسَامةَ بنِ زيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: دَخلتُ علىٰ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الكعبةِ ورَأَىٰ صُورًا، قَالَ: فَدعَا بِدَلوٍ مِن مَاءٍ فَأتيتُه بِه فجعلَ يمحُو ويقول: «**قَاتَلَ اللهُ قومًا يُصوِّرُون ما لا يخلُقون**»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٧٧) (٢٥٠٨)، والبخاري (٣٣٥١)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٩٦٨٧).

(٢) أخرجه أبو داود الطيالسي (٢/ ١٧)، وصححه الألباني بمجموع طرقه في «الصحيحة» (٩٩٦).

وهذا الحديثُ ظاهرٌ في إنكَارِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا رَآه مِنَ الصورِ في الكعبةِ وأَنَّه لم يستثنِ شيئًا مِنها، وفِي هذا ردٌّ علىٰ مَن زَعمَ أنَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وضعَ كَفيَّهِ علىٰ صُورةِ مريمَ وعيسىٰ، وأمرَ بإبقَائِها ومحوِ مَا سِواهَا.

الوجهُ العاشرُ: مَا رواه ابنُ ماجه بإسنادٍ صحيحٍ عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**صنعتُ طَعامًا، فَدعوتُ رسولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فجاءَ فرَأىٰ في البيتِ تصاويرَ فرجَعَ**»، ورواه النَّسائيُّ ولَفظُه: قال: «**صَنعتُ طعَامًا فَدعوتُ النَّبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فجاءَ فدخلَ فرَأىٰ سِترًا فيه تصاويرُ، فخرجَ وقالَ: إنَّ الملائكةَ لا تدخلُ بيتًا في تصاويرُ**»(١)، وإذا كَانَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد خرجَ من بيتِ علِيٍّ وَفاطمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وامتَنع من أكل طعَامِهمَا؛ من أجلِ السِّترِ الذي فيه التَّصاويرُ، فكَيفَ يُظَنُّ به أنْ يُقرَّ صورةَ مريمَ وعيسىٰ في الكعبةِ؟! لا شَك أنَّ هذَا مَكذُوبٌ علىٰ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الوجهُ الحادي عشرَ: ما رواه الإمامُ أحمدُ ومسلمٌ وأهلُ السننِ إلا ابنَ ماجه، عن أبي هَيَّاجٍ الأَسدي قَالَ: قال لي علِيُّ بنُ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**ألَا أَبعثُك علىٰ مَا بَعثَني عليه رسولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؟ أنْ لا تَدعَ صورةً إلا طَمَستَهَا، ولا قَبرًا مُشرَفًا إلا سوَّيتَه**»؛ هذا لفظ إحدىٰ رِوَاياتِ مسلمٍ(٢).

وهَذا الحديثُ الصحيحُ يدلُّ علىٰ أنَّه يجبُ طَمسُ الصورِ أَينما وُجدتْ، وفي

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٣٥٩)، والنسائي (٥٣٥١)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه مسلم (٩٦٩).

أي شيءٍ كانت، وفيه أبلغُ الرَّدِّ علىٰ مَن زعمَ أنَّ النَّبيَّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وضعَ كفَّيه علىٰ صورةِ مريمَ وعيسىٰ، وأمرَ بإبقَائِها ومحوِ مَا سِواها.

وَأمَّا مَا رَواه الأَزرَقِي عن جَدهِ قالَ: حدَّثنا داودُ بنُ عبدِ الرحمنِ عن ابنِ جُرَيجٍ قَال: سأَلَ سليمانُ بنُ موسىٰ الشَّامِي[(١)] عطاءَ بنَ أبي رَبَاح[(٢)] وأَنَا أَسمَعُ: أَدركتَ في البيتِ تِمثالَ مريمَ وعِيسىٰ؟ قال: نَعم، أدركتُ فِيها تِمثالَ مريمَ مزوقًا في حِجرِها عيسىٰ ابنُها قَاعِدًا مزوقًا»، قال: «وَكانَت في البيتِ أَعمِدَةٌ ستٌّ سَوَاري، وَكَان تِمثَالَ عيسىٰ ومريمَ في العمودِ الذي يلي البابَ»، قَالَ ابنُ جُرَيج: فقلتُ لعطاءَ: متىٰ هَلكَ؟ قال: «في الحَريقِ في عصرِ ابنِ الزبيرِ»، قلتُ: أَعَلَىٰ عهدِ النَّبيِّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان؟ قال: «لا أَدرِي، وإِنِّي لأظُنُّه قد كَانَ علىٰ عهدِ النَّبيِّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ»، قال له سليمانُ: «أفرأيتَ تماثيلَ صورٍ كانتْ في البيتِ من طَمَسَهَا؟» قَالَ: «لا أدري، غيرَ أَنِّي أدرَكتُ من تلك الصورِ اثنين دَرَستَا وَأَرَاهما والطَّمسُ عَليهِما»، قال ابن جُرَيج: «ثم عاودتُ عطاءَ بعدَ حينٍ فَخَط لِي ستَّ سوَارِي ثم قَالَ: «تِمثَالُ عيسىٰ وأمِّه عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ في الوسطِ من اللاتي تَلينَ البَّابَ الذي يلِينَا إذا دخَلنَا»[(٣)].

ثم قَالَ الأَزرَقي: حدَّثني جَدي، قَالَ: حدَّثنا داودُ بنُ عبدِ الرحمنِ عن عمروِ بنِ

---

(١) سليمان بن موسىٰ الدمشقي الأشدق. ترجمته في: «تهذيب الكمال» (١٢/ ٩٢)، و«سير أعلام النبلاء» (٥/ ٤٣٣).

(٢) عطاء بن أبي رباح أسلم، الإمام، شيخ الإسلام، مفتي الحرم، أبو محمد القرشي مولاهم. ترجمته في: «تهذيب الكمال» (٢٠/ ٦٩)، و«سير أعلام النبلاء» (٥/ ٧٨).

(٣) أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ١٦٧).

دينارٍ(١) قالَ: «**أدركتُ في بطنِ الكَعبةِ قَبلَ أنْ تُهدَمَ تِمثالَ عيسىٰ ابنِ مريمَ وأُمِّه**»(٢).

فَجَوابُه: أنْ يُقَالَ: قد ثبتَ أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرَ عمرَ بنَ الخطابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنْ يأتِيَ الكَعبَةَ فيمحوَ كلَّ صورةٍ فيها، وَلم يَستَثنِ شَيئًا مِن الصورِ.

وَثَبتَ أَيضًا مِن حَديثِ ابنِ عَباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: دخلَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البيتَ فوَجدَ فيهِ صورةَ إِبراهيمَ وصورةَ مريمَ، فَقالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أمَا لهُم فَقد سَمِعوا أنَّ المَلائِكَةَ لا تَدخلُ بيتًا فِيه صورةٌ هَذا إبراهيمُ مُصوَّرٌ، فَما لَهُ يَستَقسِمُ**».

وَثَبتَ أَيضًا عَن أُسامةَ بنِ زيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: دَخلتُ علَىٰ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الكَعبةِ وَرَأَىٰ صُوَرًا قال: فَدعَا بِدَلْوٍ مِن مَاءٍ فَأَتيتُه بِه فَجعَلَ يَمْحُوهَا وَيقولُ: «**قَاتَلَ اللهُ قَومًا يُصوِّرُون مَا لا يَخْلقُون**».

وقَد تَقدمَ ذكرُ هَذِهِ الأَحَادِيثَ الثَّلاثَةِ قَرِيبًا، وتَقدمَ أَيضًا مَا ذَكرَه الزَّرقَانِي علَىٰ المَوَاهِبِ أَنَّه وَقعَ عندَ الوَاقِدي فِي حَدِيثِ جَابِرٍ، وَكَانَ عمرُ قَد ترَكَ صورةَ إِبراهيمَ، فَلمَّا دخلَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَآهَا فقالَ: «**يَا عُمرُ، أَلم آمُرْك أنْ لا تَدعَ بِها صُورةً؟! قَاتَلَهم اللهُ جَعَلوه شَيخًا يَستقسِمُ بِالأزلَامِ**»، ثُمَّ رَأَىٰ صورةَ مريمَ فقالَ: «**امْحُوا مَا فِيها مِن الصورِ، قَاتلَ اللهُ قومًا يُصوِّرون مَا لا يَخلُقُون**».

وَعَلَىٰ هَذا؛ فيُحتَمَلُ أنْ تكونَ صورةُ مريمَ وعيسىٰ محفورةً فِي عَمودِ البيتِ

---

(١) عمرو بن دينار المكي، أبو محمد الجمحي مولاهم، الأثرم، أحد الأعلام، وشيخ الحرم في زمانه. ترجمته في: «تهذيب الكمال» (٢٢/ ٥)، و«سير أعلام النبلاء» (٥/ ٣٠٠).

(٢) أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ١٦٨).

بِحيثِ لا يُذهِبُهمَا الغسلُ بِالمَاءِ، فَلهذَا بَقيَت إِلىٰ أَنْ احْترَقَ البيتُ فِي عهدِ ابنِ الزبيرِ، وَيحتَملُ أنْ تكونَ مَصبُوغةً بِصبغٍ ثَابتٍ لا يُذهبهُ المَاءُ، أَو أَنَّه قَد ذَهبَ بعضُ الصَّبغِ حينَ مُحِيَت بِالمَاءِ فِي زَمَنِ النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَقِيَ مِنه بقيةٌ تَظهرُ منه الصُّورةُ.

وَقَد تَقدمَ عن عَطَاءَ أَنَّه أَدركَ -أيضًا- صُورتَينِ من الصورِ التي كَانَت فِي الكَعبَةِ، وَأَنهمَا قَد دَرَستَا، وَأَنَّه رَأَىٰ الطَّمسَ عَليهِمَا؛ فَلعلَّ صورةَ مريمَ وعيسَىٰ كَانَت كَذلكَ.

وَيحتَملُ أنْ يكُونَ قَد أُلزِقَ عَليهمَا مَا يَمنعُ مِن رُؤيَتِهمَا، فَخَفِيَت عَلىٰ النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلَىٰ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَعلَىٰ غَيرِهم مِنَ الصَّحابةِ، ورَآها عَطَاءُ وَعَمرو بنُ دِينَارٍ بعدَمَا أُزِيلَ عَنهَا مَا يَمنعُ مِنْ رُؤيَتِها.

وَيُحتَمَلُ أَنْ يَكونَ بعضُ النَّصَارىٰ وضَعَها بعدَ زَمَانِ النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعدَ زَمانِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَلا سِيَّمَا فِي زَمَنِ الفِتنةِ الَّتِي كَانت فِي زَمنِ يزَيدِ بنِ مُعَاوِيةَ، فَقَد يَتَسمَّىٰ بَعضُ النَّصَارَىٰ بِالإِسْلَامِ بِحَيثُ لا يُردُّ عَن دُخُولِ مَكَةَ ودُخولِ الكَعبَةِ، فَيُصوِّرُ صُورَةَ مَريَمَ وَعِيسَىٰ لِيَفتِنَ المُسْلِمِينَ بِذَلكَ، وَيُوهِمُهُم أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَقرَّ صُورَتَهُمَا، وَيُحْتَمَلُ أنْ يَكونَ ذَلِكَ مِنْ عَمِلِ بَعضِ مَن أَسلَمَ مِن النَّصَارَىٰ بَعدَ زَمانِ النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزَمَانِ الخُلفاءِ الرَّاشِدينَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ واللهُ أَعْلَم.

وَليسَ فِي بَقَاءِ صورةِ مريمَ وعيسَىٰ في الكَعبَةِ بعدَ زَمَانِ النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَدُلُ علَىٰ أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَد أَقرَّ ذَلكَ، فَإِنَّهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يُقِرُّ المُنْكَرَ ولا يَرضَىٰ بِهِ؛ وَقَد قَالَ اللهُ تَعالَىٰ فِي صِفتِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى

يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

والمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّهُ لا يَجُوزُ أَنْ يُظَنَّ بِالنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه يُقِرُّ شَيئًا مِن الصُّورِ أو يَأمرَ بِإبقَائِها، وَمَن ظَنَّ ذَلكَ فقَد ظَنَّ بِالنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لا يَليقُ بهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ

حِمُود بنُ عبدِ اللهِ التُّويجِرِي

١٥/ ٤/ ١٣٩٨هـ